الفصل الثالث

أوضاع الأقليات والجاليات الإسلامية فى قارة آسيا

قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١ م)

الفصل الثالث
أوضاع الأقليات والجاليات الإسلامية فى قارة آسيا
قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)
مدخـــل

شهدت قارة آسيا ميلاد الدعوة الإسلامية، ففي الحجاز كانت دعوة الرسـول ﷺ من مكة، وامتدت الدعوة خلال ثلاثة وعشرين عاماً لتعم شبه الجزيرة العربية كلـها تقريباً ، ثم انتشرت الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين، حتى شهدت الشـام والعـراق وفارس بعد أن سقطت أقوى إمبراطوريتين كانتا تحكمان العالم آنـذاك أمـام المـد الإسلامي هما : دولة فارس ، ودولة الروم [1] ولم ينته القرن الأول الهجري حتى دخل الإسلام أرمينيا ، وبلاد القفقاس ، وخوارزم ، وبلاد التركستان كما بلغ حدود الصين والهند والفلبين.

وتعد قارة آسيا مهد الإسلام وقلب العالم العربي في آسيا، فقد قامـت الشـعوب المغولية التركية بنشر الإسلام في وسط آسيا في إقليم التركسـتان، ثم مـدت هـذه الشعوب نشاطها داعية للإسلام في حوض نهر الفولجا وشمال البحر الأسود، وفى آسيا الصغرى وشبه جزيرة البلقان، وامتد الإسلام بفضل هذه الشعوب إلى الصين والهنـد والشعوب المجاورة لهما، كما قامت الشعوب الهندية الآرية بنشر الإسـلام في أجـزاء كثيرة من الهند وفى آسام وبورما وشبه جزيرة الهند وإندونيسـيا، والفلـبين، وتحتـل إندونيسيا الترتيب الأول بين دول العالم الإسلامى فى عدد المسلمين بها الـذى يبلـغ (٢٥٠) مليون مسلم، وتمثل باكستان المركز الثاني (١٤٠) مليون مسلم، ثم بنجلاديش فى المركز الثالث (١٣٣) مليون مسلم .

وتتعدى الأقليات الإسلامية في الهند أكثر من (١٧٠) مليون مسلم ، ويبلغ تعداد مسلمي الصين حوالي (١٥٠) مليون مسلم مقابل دولتين فقط في إفريقيا تتمتعان بعدد سكان مرتفع نسبيا هما : نيجيريا (٥٩) مليون مسلم ومصر (٥٧) مليون مسلم [2] وتضم قارة آسيا نحو (٨٦٥) مليون مسلم، أي أكثر من ثلثى المسلمين في العالم بنسبة

(٧٠%) و(٢٨,٧%) من جملة سكان آسيا حسب إحصائية عام (٢٠٠٢م) ، فهي أكبر القارات سكانا حيث تضم (٥٨%) من مجموع سكان العالم[٣] .

بدايات الإسلام في قارة آسيا :

جاء انتشار الإسلام في قارة آسيا منذ بداية ظهوره بمكة، حيث اتجهت جيوش المسلمين إلى الشمال الشرقي لمواجهة الفرس في موقعة القادسية في عام (٦٣٦م) ثم إلى الشمال الغربي لملاقاة الروم في موقعة اليرموك في عام (٦٣٤م) وعلى هذا فقد انتشر الإسلام في ربوع قارة آسيا من خلال محورين أساسيين:

المحور الشرقي: ومنه امتد الإسلام للعراق وإيران وأذربيجان، وأرمينيا في القرن السابع الميلادي، ثم تركستان، وأفغانستان في القرن الثامن الميلادي، ثم باكستان في القرن التاسع الميلادي.

المحور الغربي: ومنه دخل الإسلام كلاً من الشام وفلسطين في القرن السابع الميلادي، ثم امتد هذا المحور إلى دول شمال إفريقيا في القرن السابع أيضاً .

وقد لعب التجار العرب دوراً مهماً في توطين الإسلام في مناطق عديدة من آسيا في القرن التاسع وتحديدا على سواحل الهند الغربية وجزيرة سيلان (سرىلانكا) وجزر المالديف، وجزر الهند الشرقية (إندونيسيا) ، كما كان للشعب الفارسي أيضا دور في نشر الإسلام في وسط وجنوب شرق آسيا، وبفضل الدعاة الذين آمنوا بالدين الإسلامي في الهند دخل الإسلام إقليم البنغال وأسام وبورما والملايو ، ثم قام الشعب الملاوى والإندونيسى بنشر الإسلام في الفلبين.

ويلاحظ مما سبق أن الشعوب الإسلامية العربية، كان لها الدور الأكبر في نشر الإسلام في معظم دول آسيا، ومنه إلى أوربا ، وتضم قارة آسيا (٢٧) دولة إسلامية بعضها يزيد عدد سكانها من المسلمين حتى يصل لحوالى (٢٥٠) مليون مسلم، كما هو الحال في إندونيسيا وبعضها يقل عدد سكانه حتى تصبح عدة آلاف كما هو الحال بالنسبة لجزر المالديف، بما يعنى أن (٨٨%) من مسلمي آسيا من غير العرب، باستثناء لبنان وماليزيا فإن الكثافة الإسلامية ترتفع في هذه الدول لتتراوح (٨٧%) كما هو الحال في سوريا ، وبنجلاديش و(٩٩%) كما هو الحال في باقي الدول الإسلامية.

والجدول التالى يوضح تعداد الأقليات الإسلامية

فى دول آسيا والنسبة المئوية لكل دولة (٤)

الدولة	عدد المسلمين	النسبة المئوية
السعودية	٢٠,٢٩٩,٠٠٠	%٩٩
اليمن	١٧,٣١٩,٠٠٠	%٩٩
سلطنة عمان	٣,٣٧٦,٠٠٠	%٩٩
البحرين	٧١٣,٠٠٠	%٩٩
الكويت	٢,٧٩١,٠٠٠	%٩٩
الإمارات	٣,٥٥٤,٠٠٠	%٩٩
قطر	٦٣٣,٠٠٠	%٩٩
العراق	٢٠,٦٩٥,٠٠٠	%٩٣
سوريا	١٤,٠٠٧,٠٠٠	%٨٧
لبنان	٢,٨٨٦,٠٠٠	%٦٠
الأردن	٦,٤٨٥,٠٠٠	%٩٥
تركيا	٨٤,٥٨٨,٠٠٠	%٩٩
إيران	٦٤,١٠٨,٠٠٠	%٩٩
أفغانستان	٧٠,٠٨٧,٠٠٠	%٩٩
باكستان	٢٢,٩١٠,٠٠٠	%٩٧
بنجلاديش	١٣٥,٠٠٥,٠٠٠	%٨٧
إندونيسيا	٢٥٠,٠٠٠,٠٠٠	%٨٥
ماليزيا	١٢,٩١٧,٠٠٠	%٥٥
بروني	٣٦٦,٠٠٠	%٧٧
مالديف	٣٧٠,٠٠٠	%٩٩

كازاخستان	٧,٩٠١,٠٠٠	%٤١
أوزباكستان	٢١,١١٧,٠٠٠	%٨٥
قيرغيزستان	٣,٦٤٢,٠٠٠	%٥٧
طاجيكستان	٦,٧٤٤,٠٠٠	%٩٥
تركمانستان	٤،٦٤٢،٠٠٠	%٨٦
أذربيجان	٦،٧٣٩،٠٠٠	%٧٥
الهند	١٨٠,٠٠٠,٠٠٠	%١٣
نيبال	٢,١٠٠,٠٠٠	%٧
سرى لانكا	٧,٤٨٤,٠٠٠	%١٠
بورما	٣,٨٥٦,٠٠٠	%٥
تايلاند	١٢,٤٠٠,٠٠٠	%١٠
الفلبين	١٧,٥١٠,٠٠٠	%٢١
سنغافورة	١,٠٠٠,٠٠٠	%٢٠
كمبوديا	٦٧٠,٠٠٠	%٤
لاوس	٢١١,٠٠٠	%٣
بوتان	١٠٥,٠٠٠	%٧
قبرص	٢٥٠,٠٠٠	%٣٠
منغوليا	٧١٣,٠٠٠	%١٥
اليابان	١٧٧,٠٠٠	%٢
فيتنام	٨٧٠,٠٠٠	%٣
هونج كونج	٨٠,٠٠٠	%٣
الصين	١٥٠,٠٠٠,٠٠٠	%٨

أولا : أوضاع الأقليات الإسلامية فى الصين قبل وبعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

في البداية تجدر الإشارة إلى أن مستقبل آسيا الأمني والاقتصادي سيؤثر فيه بدرجة كبيرة شكل العلاقة بين القوى الأربع ؛ الصين، اليابان، الهند، الولايات المتحدة، حيث الصراع الخفي للهيمنة على آسيا بين هذه الدول لا ينقطع منذ زمن بعيد، وتبرز الصين إحدى هذه الدول نظراً لثقلها السكاني ونموها الاقتصادي الذي اخترق كافة الأسواق العالمية، واختلافها الأيديولوجي مع الولايات المتحدة باعتبارها المتحدى الأكبر لأمريكا في المنطقة بميولها الشيوعية بعد الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي القديم.

وقبل أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) سعت الصين إلى إجراء ترتيبات أمنية إقليمية لمجابهة تزايد ظاهرة الإسلام السياسي في منطقة آسيا الوسطي واحتمال انتقاله إلى منطقة تركستان الشرقية ذات الأغلبية المسلمة المعروفة عند الصينيين (بسنكينانج).

ففي عام (١٩٩٦م) وقعت كل من الصين وروسيا وكازاخستان وقيرغيزستان وطاجيكستان على معاهدة شنغهاي والتي اشتملت بنودها على تأمين الحدود بينهم والضغط على الأقليات من (الإيغور) في دول آسيا الوسطي لمنع تقديم أية تسهيلات للإيغور الثائرين في الصين ضد الحكومة المركزية في بكين، بيد أن الهدف غير المعلن من هذه المعاهدة هو أن الصين بدأت تشعر بالقلق من الإسلام الذي بدأ يتنامى على أرضها وبجوارها يوما بعد الآخر، وأصبحت أمام أمرين كلاهما يحسب له حساب:

- الأول : محاربة الأصولية الإسلامية في إقليم تركستان الشرقية، باعتباره يسعى إلى إقامة دولة يكون قوامها الإسلام، وتفقد الصين بذلك أهم مصادر الدخل لديها.
- والثاني: وقف النفوذ الأمريكي المتغلغل في منطقة آسيا الوسطي وبحر قزوين منذ انهيار الاتحاد السوفيتي الشيوعي السابق، واعتبار أن الصين هي البديل الشرعي له.

وبعد أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) انضمت هذه الدول (الصين، الهند، اليابان) إلى قافلة مكافحة الإرهاب والتطرف الإسلامي، حيث إن لكل دولة جدول أعمالها الخاص بها، وتعريفها المسبق عن الإسلام، وقال المتحدث باسم الخارجية الصينية في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر: " إننا نأمل أن تكون معركتنا ضد قوات تركستان الشرقية جزءاً من الحملة الدولية لمكافحة الإرهاب الإسلامي، وأن نجد الفهم والمساندة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية " .

ثم أعقب هذا التصريح حملة اعتقالات واسعة لأئمة المساجد ، ومسؤولي الجمعيات والمراكز الإسلامية بالإقليم،الأمر الذي أدى إلى حدوث مصادمات عنيفة بين المسلمين والقوات الصينية أسفرت عن مقتل العشرات من المسلمين تحت زعم أنهم إرهابيون، ومتطرفون سبق وأن اشتركوا في أعمال تخريبية داخل الإقليم، وربما كانوا يخططون لعمليات فدائية جديدة هدفها إحداث قلق وعدم استقرار أمني داخل الإقليم .

وتقوم الصين حاليا بحركة عسكرية واقتصادية واسعة في محيطها الإقليمي حيث قامت بإنشاء محطة تصنت في جزيرة (كوكو) البورمية على بعد (٣٠) ميلاً بحرياً من جزر (أندامان) لمراقبة التجارب على الصواريخ الهندية وتعد هذه الخطوة الأولى منذ عهد أسرة (منغ) التي تمتد فيها اهتمامات الصين الأمنية بعيداً عن حدودها السياسية، كما قامت باستثمار أربعة مليارات دولار في استخراج النفط من كازاخستان مما دفع سنغافورة إلى القلق من النفوذ الصيني داخل أراضيها تحت زعم تعقب بعض العناصر الإسلامية الهاربة من إقليم تركستان الشرقية إلى أراضي سنغافورة، وطالبت بالتدخل الأمريكي لوقف التوغل الصيني عبر أراضيها.

في حين جرى نقاش محدود في الفلبين حول النظر في عودة الأمريكان إلى القواعد التي سبق وأن تركوها نتيجة الضغوط الداخلية على حكومة الفلبين ، ولكن العودة هذه المرة يدفعها الإعلان العالمي لمحاربة الأصولية الإسلامية في العالم ، لا سيما وأن جنوب الفلبين يتمتع بأغلبية مسلمة ، وأن جبهة تحرير مورو مطالبة بأن تقوم بتسليم بعض عناصرها ،أو أولئك الذين تلقوا تدريبات في معسكرات " أسامة بن لادن " في أفغانستان [٥] .

ومن خلال هذه المقدمة يبدو الطرح واضحاً بأهمية تناول موضوع الأقليات الإسلامية في الصين استناداً إلى اعتبارات ، لعل أهمها الموقف المتشدد الذي اتخذه النظام

الشيوعي الحاكم لفترة طويلة حيال أصحاب العقائد الدينية في الصين، بسبب موقف الشيوعية كأيديولوجية من الدين، وذلك قبل الأجواء الانفتاحية التي بدأت تشهدها الصين خلال العقدين الأخيرين، أما ثاني هذه الاعتبارات فيتعلق بتقاطع خطوط ما هو ديني مع ما هو قومي، وما هو عرقي، حيث تنتمي الأقلية الدينية الواحدة إلى عدة قوميات ، وهذا واضح بصورة مباشرة في حالة الأقليات الإسلامية في الصين وهذا الوضع من شأنه أن يحد كثيراً من قوة تماسك هذه الأقليات ، ومن ثم يضعف من قوة دورها المحتمل على الساحة السياسية، وهو الدور المتوقع أن يشهد حالة تنامٍ في ظل مناخ الانفتاح الذي تعيشه الصين حالياً، بجانب طرح الصين كقوة عظمى مما يفرض عليها أسلوباً معيناً في التعامل مع الأقليات التي تدخل في نسيجها القومي.

فاضطهاد مسلمي الصين لم ينشأ فقط بعد أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) ولكن يرجع إلى زمن بعيد، فقد بدأت سلسلة الاضطهادات التي لحقت بالمسلمين (الإيغور) في إقليم تركستان الشرقية منذ سنوات عديدة أخذت صوراً وأشكالاً عديدة منها ؛ الاعتقالات، والتعذيب، والمحاكمات غير العادلة، والإعدام، وتدمير المنازل والاستيلاء على الممتلكات الخاصة للمسلمين،كلها كانت - ولا تزال - أنواعاً مختلفة من الاضطهادات التي تم رصدها في تقرير منظمة العفو الدولية لعام (٢٠٠٠-٢٠٠١م) والسؤال الآن: هل اختلفت أوضاع الأقليات الإسلامية في الصين بعد أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) بالولايات المتحدة عن المراحل والأزمنة التي سبقت هذه الأحداث؟

وحتى نستطيع الإجابة على هذا التساؤل بوضوح لابد من إلقاء نظرة على الأديان في الصين حتى تتضح الصورة كاملة حيث إن البوذية تمثل الديانة الرئيسية للصين ويدين بها أكثر من (١٨٠) مليون بوذي من إجمالي(مليار و ٢٠٠ ألف) نسمة يشكلون إجمالي عدد سكان الصين، وهناك ديانات ومذاهب أخرى رئيسية مثل التاوية والإسلام والبروتستانتينية والكاثوليكية، فالأديان السماوية الثلاثة : (الإسلام، المسيحية، اليهودية) والتي جاءت إلى الصين من خارجها لم تجد بسهولة مكانا لها هناك، وخاصة في ظل الحكم الشيوعي الذي لا يعترف بدين من ناحية، وكبت حرية التدين وممارسة الشعائر الدينية من ناحية أخرى، فضلاً عن سيطرة معتقدات غير سماوية وارتباط الثقافة الصينية بهذه المعتقدات من ناحية ثالثة[٦].

وصل الإسلام الصين عن طريق التجارة عبر مدنها الساحلية ، وأقام المسلمون مسجداً لهم في مدينة كانتون (قرب هونج كونج) في القرن الأول ، وذكر الرحالة أمثال : "ماركوبولو " ، و" ابن بطوطة " أنهما شاهدا أحياءً كاملة يسكنها المسلمون، ولهم فيها مساجد ومنازل وعدد من الولايات الداخلية التي تسكنها أغلبية مسلمة مثل ولاية كانسو وعاصمتها لانتشو ويقطنها نحو (١٣) مليون مسلم، بنسبة (٧٩%) من السكان، وولاية تشي التي يسكنها نحو (٧،٥) مليون نسمة ثلث السكان، وولاية يونان الجبلية وغيرها من الولايات .

وقديما قامت الصين بضم تركستان الشرقية إليها وأطلقت عليها اسم (سنكيانج) وهي تجاور كازاخستان، وطاجيكستان، وقيرغيرستان ويسكنها نحو (١٧) مليون مسلم يمثل المسلمون فيها (٩٨%) من إجمالي السكان، بالإضافة إلى أعداد ضخمة من المسلمين في أنحاء متفرقة من المدن الصينية وأعدادهم في السجلات الرسمية أقل من الواقع (١٥٠) مليون مسلم، إذ إن الكثير منهم ظل يخفي إسلامه لسنوات طويلة، وخاصة بعد حالات العنف والاضطهاد التي كان يتعرض لها المسلمون في الصين زمن الثورة الثقافية في عهد "ماوتسي تونج" .

دخول الإسلام الصين:

جاء الإسلام إلى الصين براً عن طريق الشعوب التركية والمغولية وعلاقاتها التجارية، ولهذا تعتبر المناطق الإسلامية في الصين امتداداً شرقياً للعالم الإسلامي في أفغانستان وأراضي ما بين النهرين، ولهذا تتركز الأقليات الإسلامية في غرب الصين سواء في الشمال الغربي ؛ أم في الجنوب الغربي ، أو ما يعرف بطريق- الحرير- وهو الطريق الرئيسي آنذاك ، وهناك طريق ثانوي آخر سلكه الإسلام إلى الصين عن طريق البحر [٧] .

بيد أن الملاحظ أن المؤرخين اختلفوا في تحديد دخول الإسلام الأراضي الصينية، إلا أنهم اتفقوا على أن الصين استقبلت أولى البعثات الإسلامية في عهد ثالث الخلفاء الراشدين " عثمان بن عفان " ، وأن هذه البعثات استمرت بمعدل بعثة كل أربع سنوات ، بل استطاعت أن تقيم لنفسها علاقات وطيدة مع إمبراطور الصين "تانغ" وأخذ الإسلام في الانتشار عبر الصين من مراكز ساحلية نحو الداخل وقد سبق التجار

العرب الإسلام في إقامة علاقات تجارية مع الصين بدأت قبل ظهور الإسلام في الجزيرة العربية[٨] ، حيث كانت هناك صلات تجارية بين العرب والصينيين في القرن السادس الميلادي عن طريق سيلان.

وبعد أن فتح المسلمون بلاد كسرى وهزيمة جيوشه في معركة (القادسية) في عهد الخليفة الثاني " عمر بن الخطاب " ثم في المدائن عاصمة ملكه، بعد ذلك انطلقت الجيوش الإسلامية تغزو الأراضي الفارسية وتطارد "يزدجرد" كسرى فارس، وما بقي من قواته، فكانت معركة جلولاء ثم نهاوند التي استشهد فيها الصحابي " النعمان بن مقرن " ، واستمرت جيوش المسلمين تنتقل من نصر إلى آخر، حتى توسعت الدولة الإسلامية في أراضٍ كثيرة من العالم ، ومن هنا فقد كان الإسلام في بداية تواجده في الصين حريصاً على أحد أمرين [٩] :

الأول: تهيئة الصيغة المناسبة لتكوين التركيب الهيكلي للبناء البشرى الإسلامي الذي يضم كل شعب، أو قوم من غير إنكار للذات والهوية الخاصة أو من غير تنكر لمقومات هذه الذات.

الثاني: تهيئة الإطار الواسع الفضفاض الذي يمكن من خلاله جمع شمل كل المسلمين في أحضان أمة تترابط لبناتها وتتماسك أوصالها من خلال أخوة صادقة في الله.

بيد أن الصراع بين المسلمين في تركستان الشرقية والحكومة الصينية يعود إلى عام (١٧٥٩م) عندما قام " المانشور " حاكم الصين بغزو تركستان، وأعقب ذلك قيام ثورة عارمة في الإقليم، ونجح الأهالي في طرد المحتل الصيني وتم الإعلان عن دولة تركستان الشرقية دولة مستقلة لمدة (١٦) عاما وظلت على حالها إلى أن تحالف الروس مع الصينيين، وتم تقسيم المنطقة بينهما تركستان الغربية تتبع روسيا ، وتركستان الشرقية مقاطعة من أملاك الصين، وبالتالي أصبحت تركستان الشرقية ولاية تابعة للصين منذ نوفمبر عام (١٨٨٤م) إلا أنه ومنذ وصول الإسلام إلى الصين عام (٦٥١) ميلادية ، وهو يتعرض لموجات من الصعود حينا، والهبوط أحياناً أخرى، بداية من عصر أسرة (تانغ) التي ورثت الحكم في الصين عام (٦١٧م) بعد ظهور النبوة بست سنوات.

وأخذ الإسلام في الانتشار في عصر أسرة (سونغ) التي سقطت عام (١٢٦٧م) ثم قوى الإسلام وازدهر في عصر أسرة (يوان) أو ما يعرف في التاريخ بعصر المغول،

وذلك في الفترة من (١٢٧٧-١٣٦٧م) ثم عصر منج (١٣٦٨- ١٦٤٢ م) أما في عهد "المانشور" فقد تعرض المسلمون في الصين لأنواع مختلفة من العنف والاضطهاد بسبب عقيدتهم، إلا أن المؤرخين اتفقوا على أن أزهى عصور الإسلام في الصين كانت فترة حكم المغول ، حيث توسع الإسلام في نشر دعوته لتخرج من الصين للمقاطعات المجاورة، ويلاحظ أن المسلمين في الصين كانوا يميلون إلى العيش في قرى ومدن مستقلة، وأن يقيموا لأنفسهم مجتمعات ومقاطعات خاصة ، ويعتقدون بأن المسلم الذي لا يذهب إلى المسجد لا يحق له أن يأكل مع المسلمين، أو أن يقيم بينهم.

التركيب العرقي للأقليات في الصين:

أما أصول المسلمين في الصين فهي ترجع إلى ثلاثة أجناس ؛ هي : جنس فيه الدم العربي، وآخر يجرى في عروقه دم الأواغرة، وجنس ثالث يجرى فيه دم المغول، وهذه الأجناس تنقسم إلى قوميات عديدة مثل:الهاو، الإيغور، القازاق، القرغيز، الأوزبك، الطاجيك، التتار، السالار، الباوان، الروهنجيين.

وتعد (الهاو) أكبر قومية إسلامية في الصين، إذ إن (الهاو) لا ينتمون إلى عرق آخر غير العرق الصيني (الخان) لكنهم قاوموا بشدة حركة الانصهار في الدولة الوطنية الصينية تمسكا بدينهم وخصوصيتهم الحضارية، فكانوا يذهبون قدر الإمكان للتميز عن الخان في مأكلهم وملبسهم ومسكنهم والانعزال عنهم، بل إنهم وضعوا حدوداً صارمة وشاملة بينهم وبين الخان ، بحيث لا يأكلون طعامهم ولا يجعلون من يأكل لحم الخنزير مثلاً يقترب من أوعية مأكلهم.

وعلى هذا فإن هذه القومية تشكل ما يمكن تسميته بالصينيين المسلمين تمييزاً لهم عن باقي الأقليات القومية الأخرى المنتمية إلى الإسلام (مسلمو الصين) والتي ما زالت في غالبيتها تقطن أوطانها الأصلية، التي تم ضمها إلى الصين عنوة أو بقرار سياسي، وتشمل هذه القوميات قومية الإيغور (مسلمو تركستان الشرقية) والتي تعنى باللغة الصينية (المستعمرة) ويحرم هناك استخدام الاسم الإسلامي وهو (تركستان الشرقية) ويتحدث الإيغور اللغة الإيغورية، وهى من أرومة اللغة التركية القديمة، ويستخدمون الحروف العربية في الكتابة[١٠] .

- أما قومية القازاق، فهم يقيمون بشكل عام في تركستان الشرقية وشنغهاي وكانسو ولغتهم أيضا اللغة التركية، ويستخدمون الحروف العربية في الكتابة ، في

حين تعد قومية "الروهنج" وهم شعب منغولي يتحدث المنغولية من الشعوب الوافدة على الصين ويتمتع بالحكم الذاتي من الجهة الشرقية.

- أما قومية القرغيز، فهي من أصول تركية وعاشوا على حدود مناطق التركستان في آسيا الوسطى من المناطق التي تعرف اليوم باسم جمهورية قيرغيزستان، ولهذه القومية ولاية حكم ذاتي تتبع مقاطعة تركستان الشرقية.
- قومية السالار، وهذه القومية تنحدر من قبائل الغز التركية، ويتمركز أغلب أبناء هذه القومية في محافظة تشيهو ذات الحكم الذاتي.
- أما قومية الأوزبك فهم قبائل عربية ويعيش معظمهم في مقاطعة تركستان الشرقية.
- قومية الطاجيك: وهم من أصول فارسية ويوجد معظمهم في مقاطعة تركستان الشرقية وتعد الفارسية هي اللغة الرسمية لهم.
- قومية الباوان: وهذه القومية تنحدر من أصول منغولية ويتركز معظمهم في لينشيا.
- قومية التتار، ويتمركزون في منطقة تركستان الشرقية .

ويلاحظ من عرض القوميات الإسلامية بالصين، أنهم يتمركزون بصورة ملحوظة في إقليم تركستان الشرقية أو (سنكنيانج) الاسم الذي تطلقه الصين على هذه المنطقة، حيث حاولت هذه المقاطعة الانفصال.

ففي عام (١٩٤٤م) قامت ثورة عارمة في (سنكنيانج) أقامت جمهورية مستقلة ضد حكم تشيانج كـــاى شيـــك ، لكن هذه الجمهورية انضمت إلى الصين الشيوعية عام (١٩٥٠م) بعد احتلالها من قبل الجيش الصيني ؛ وقد كانت أحداث العنف التي شهدتها (سنكنيانج) (في فبراير ١٩٩٧م) هي محاولة جديدة للانفصال عن الصين، باعتبارها كياناً مستقلاً ذا أيديولوجية مختلفة، وظهرت فصائل عديدة تطالب بالانفصال مثل حركة تركستان الشرقية الحرة، والجبهة الوطنية الثورية لطشقند، فضلا عن الموقع الإستراتيجي المهم لهذه المنطقة باعتبارها جسراً للاتصال بين آسيا والشرق الأوسط ، وتمتع الإقليم بالثروات الطبيعية كالفحم والحديد، وهذا ما أدى بالفعل إلى تزايد نسبة القلق لدى الحكومة الصينية بسبب الصحوة الإسلامية التي ظهرت بأوربا وخاصة في منطقة البلقان في البوسنة والهرسك وكوسوفو ، وألبانيا ذات الأغلبية المسلمة بجانب استقلال الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى القفقاس، لذلك أدركت الحكومة

الصينية منذ (عام ١٩٩٠م) ، ما يمكن أن تسببه هذه الصحوة المحيطة بها من كل جانب كدولة عظمى وبإقليم تركستان الشرقية كإقليم ذى أغلبية مسلمة وأسرعت بتوطين ملايين الصينيين في محاولة لإعادة التشكيل الديموغرافى لهذه المنطقة من جديد [١١] .

على جانب آخر قامت الحكومة الصينية بتوثيق علاقاتها مع حكام جمهوريات آسيا الوسطي الإسلامية في محاولة لوقف امتداد الحركات الإسلامية إلى أراضيها فيما يعرف بمعاهدة شنغهاي ، بجانب سياسة التسامح التي أقرتها الحكومة الصينية مع المسلمين على أراضيها بداية من استثناءهم من قانون تحديد النسل المفروض على الشعب الصيني ، وكذلك قيام الحكومة بمصادرة أحد الكتب التي أساءت إلى الإسلام، بسل ومحاكمة كاتبها والحكم عليه بالسجن لخمس سنوات، وفرض ضريبة مضاعفة على دار النشر التي قامت بطباعته ، ويحمل هذا الكتاب عنوان العادات الجنسية في الإسلام، الأمر الذى أثار غضب الأقلية المسلمة هناك، ودفع الحكومة إلى اتخاذ قرار سريع حتى لا تتفاقم الأوضاع أكثر من مما هى عليه.

ثانياً : أوضاع الأقليات الإسلامية في تركستان الشرقية

تعتبر تركستان هي موطن الترك وتمتد من بحر الخزر(قزوين) ونهر أورال غرباً إلى حدود التبت ومغوليا،ومنطقة شمال غرب الصين شرقاً وسيبيريا شمالاً،وإيران وأفغانستان جنوباً.

وتعد تركستان منطقة ذات حدود متسعة في وسط آسيا وهي منطقة بطبيعتها سهلية في الغرب وهضبية في الشرق وبينهما منطقة جبلية عالية ضمن البلاد التركستانية تغذي كلا الطرفين بالمياه وتصل بينهما بممراتها الشهيرة ، ومع أن المرتفعات الجبلية هي التي تفصل بين الشطرين، إلا أن الجزء الغربي يشمل في شرقيه مرتفعات واسعة وهي تقع ضمن جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق، بينما القسم الشرقي منها يقع تحت سيطرة الصين، ويشمل خمس مساحة الصين الشعبية بمستعمراتها، وتبلغ إجمالي مساحة منطقة التركستان حوالي (٥) ملايين كيلو متراً مربعاً وهي تنقسم إلى قسمين [١٢] :

الأول : تركستان الشرقية (سنكيانج):

وتخضع حالياً لحكم الصين الشيوعية، وترفض الحكومة الصينية استقلالها باعتبارها منطقة ذات أغلبية مسلمة، وتقطع كافة الطرق أمام سكان الإقليم ومن ينتمون إلى عرقياتهم وعقيدتهم من الجمهوريات الإسلامية الروسية وحصلوا على إستقلالهم .

الثاني: تركستان الغربية:

وكانت تخضع في السابق للاتحاد السوفيتي، وهي حالياً تضم الجمهوريات الإسلامية الروسية وقد يطلقون عليها بلاد ما وراء النهر نسبة إلى نهر جيحون.

وتركستان الغربية والتي تضم منطقة آسيا الوسطى والقفقاس من الاتحاد السوفيتي القديم وتشمل أقاليم بلاد ختن، وكاشغر، وما وراء النهر، والصغد وخوارزم وبامير، وبدخستان، وجزءاً من خراسان، حيث سيطرت روسيا على منطقة تركستان الغربية (عام ١٩٢٣م) بينما تمت السيطرة الصينية الكاملة على تركستان الشرقية (عام ١٩٤٩ م) وقد أباد قطبا الشيوعية أكثر من خمسة ملايين مسلم من التركستانيين خلال فترات السيطرة على تركستان، في حين اضطر أربعة ملايين آخرون من أبناء هذا الشعب إلى الهجرة إلى البلاد الإسلامية والأوربية أمام البطش الشيوعي .

ويرجع تمسك الصين وروسيا بمنطقة التركستان إلى أن معظم إنتاج القطن في الصين، وفي الاتحاد السوفيتي السابق إنما كان من أراضي التركستان حيث يمثل إجمالي المنطقتين : (تركستان الشرقية وتركستان الغربية) الترتيب الأول في إنتاج القطن على مستوى العالم، أما عن الثروة المعدنية في تركستان الشرقية أو سينكيانج الصينية فهي عديدة أهمها : جبال التاى حيث يستخرج منها الذهب والفضة ويوجد البترول بكميات كبيرة، كما يوجد اليورانيوم في خمس مناطق، وهي التي مكنت الصين من دخول المجال النووي.

كما تحتل تركستان الشرقية الترتيب التاسع عشر بين دول العالم من حيث المساحة، وتعادل مساحتها ثلاثة أضعاف مساحة فرنسا وتشكل خمس المساحة الإجمالية للصين ، وتحدها منغوليا من الشمال الشرقي والصين شرقاً ، وكازاخستان وطاجيكستان شمالاً وغرباً، والهند وباكستان والتبت وكشمير جنوباً وتضم تلك الأرض بين جنباتها صحراء (تكلمكات) المعروفة بالمهد الذهبي للحضارة الإنسانية ومتنزهات "التوت داغ" الطبيعية التي تعتبر جنة من جنات الدنيا، وطريق الحرير، وهو الجسر الذي طالما ربط قارة آسيا بأوربا، وبحيرتي : "طانرى" و"بوغدا" وهما من أجمل البحيرات في العالم.

وتضم تركستان الشرقية العديد من الآثار القديمة للحضارات، وحاليا تضم (٨٦) مدينة يقوم الصينيون بإعادة تقسيمها وتسميتها وتدار تحت مظلة الحكم الذاتي (بالاسم) ويقدر عدد سكان الإقليم (١٧) مليون نسمة، (٩٨%) من إجمالي السكان من المسلمين[١٣] لذلك تعتبر تركستان الشرقية بموقعها الجغرافي وبثرواتها الطبيعية محور الصراع الصيني – الروسي على مر العصور والأزمان.

وإذا كان احتياطي البترول في تركستان الشرقية يتفوق على احتياطي البترول في الشرق الأوسط ومناجم المعادن فيها لا تنضب، فإنه تجدر الإشارة هنا إلى أن اليورانيوم وهو المادة الأساسية في الإنتاج الذرى والنووي الصيني لا يستخرج إلا من ستة مناجم فقط تقع كلها في تركستان الشرقية ، كما أن الصواريخ الصينية ذات الرؤوس النووية يتم إنتاج مادتها وتصنيعها في المركز الذرى الموجود في حوض (لوبون) في تركستان الشرقية.

هذا بالإضافة إلى الصواريخ الباليستية عابرة القارات التي تعد من أفضل العتاد الحربي الصيني تنتج في تركستان الشرقية أيضا ، وتذهب بعض التقديرات إلى أن احتياطي مخزون البترول يصل إلى (٤٤,٢) بليون طن في حوض التاريم وبالرغم من أن جميع المحاولات حتى الآن للوصول إلى ذلك المخزون قد باءت بالفشل إلا أن الإقليم يعد مهما للغاية من حيث إنه يعتبر حلقة الوصل التي تنقل البترول من جمهوريات آسيا الوسطي إلى مصانع الصين[١٤] .

التوسع الإسلامي في تركستان الشرقية :

تشير كافة المصادر إلى أنه بدخول خاقان الإمبراطورية القراخانية واسمه (ستوق بو غراخان) بدأ الإسلام يدخل هذه المنطقة، وكان ذلك على يد (قتيبة بن مسلم الباهلي) عام (٨٦هـ) وعلى الرغم من أن القائد المسلم قد احتل (كاشغر) إلا أن سلطة المسلمين على تركستان الشرقية كانت ضعيفة ويذكر أنه وبمجرد دخول (ستوق بوغرا خان) الإسلام تبعه(٢٠٠) ألف خيمة استشعرت أن الإسلام هو الدين الحق الذي كانوا ينتظرونه منذ زمن بعيد[١٥] ومن هذه البداية أخذ الإسلام يخطو خطوات كبيرة تجاه الانتشار في المناطق المحيطة عن طريق التجار والأمراء، والدعاة بين مختلف القبائل التركية التي كانت ما تزال على الوثنية وعبادة الأصنام والأشخاص والحيوانات والطيور.

بيد أن الثابت أن قبائل (القرلوق) أو ما يعرفون بالتركمان ؛ أي أشباه الأتراك باللغة الفارسية هم أول من دخلوا في الإسلام في منطقة تركستان الشرقية ثم جاءت قبائل (الغز والتغزغز) الذين كانت من بينهم السلاجقة الذين حكموا دار الخلافة الإسلامية في بغداد ذاتها، وأصبح لهم نفوذ قوى في الخلافة وصلوا في بعض الأحيان إلى قوة تفوق نفوذ الخليفة العباسي نفسه.

كما استطاع القراخانيون أن ينشروا الإسلام ويتوسعوا في منطقة نفوذه حتى أن أكثر من خمسين ألفاً من القيرغيز انضموا إلى الإسلام في سنوات قليلة جملة واحدة.

والإسلام لم يدخل إلى تركستان الشرقية بصورة رسمية إلا في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٨٦هـ) وبدأ دخول الأتراك جماعات في القرن الرابع الهجري، فقد

أسلم عام (٢٥٣هـ) السلطان صادق بغراخان، فأسلم الأتراك وقتها حكومة وشعبا [١٦].

الإسلام في عهد دولة تانج :

يذكر أن أول من دعا إلى الإسلام في الصين كان أحد أخوال الرسول ﷺ وكانوا يعظمون قبره المشهور في كنتن، إلا أنه لا يوجد لهذه المعلومة السند التاريخي الذي يؤيدها، إلا أن الثابت أنه لا يوجد دليل واضح على أن المسلمين في الصين قاموا بأي نشاط في نشر تعاليم الإسلام والواقع أن ما ذكر عنهم جميعا حتى عصر فتوح المغول كان قليلاً للغاية.

وكانت من مؤشرات الفتوحات التي قام بها المغول حدوث هجرة واسعة شملت العرب، والفرس ، والأتراك إلى منطقة جديدة تسمى الصين ، فجاء بعضهم إلى الصين تجاراً، وصناعاً ، وجنوداً ، بل ارتقى بعضهم لأرفع المناصب كان أبرزهم " عبد الرحمن " الذي اختير عام (١٢٤٤م) رئيساً على بيت المال في الصين . "وعمر شمس الدين " الذي كان من أهالي بخارى ، وعهد إليه (قو بيلاى خان) عندما اعتلى العرش (١٢٥٩م) في إدارة بيت مال الإمبراطورية ، ثم أصبح بعد ذلك حاكما لمدينة (ليونان) بعد ضمها إلى الصين، ويمكن القول : إن عمر شمس الدين الذي توفى (١٢٧٠م) ترك خلفاه تراثا من التسامح الديني مع أصحاب الأديان والمعتقدات الأخرى لم يحدث من ذى قبل ، حيث أقام المعابد للطائفة الكنفوشيوسية بقدر ما أقام للمسلمين من مساجد.

الإسلام في عهد دولة منج [١٧] :

وبعد سقوط دولة المغول في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي ، فرضت الحكومة الصينية العزلة على المسلمين وحاصرتهم ، ومنعتهم من الاتصال بغيرهم من المسلمين في المناطق المجاورة ، مما دفع المسلمين إلى الزواج من الصينيات ، وقدم إليهم مؤسس الدولة (منج) وهو الإمبراطور (هنج وو) كثيراً من الامتيازات حيث تدل المؤشرات ، بل والصفحات المجهولة من تاريخ المسلمين في الصين تزايد عدد المساجد التي بنيت في عهد هذا الإمبراطور عن سابقيه ومن جاؤوا بعده .

الإسلام في عهد دولة منشو :

قامت دولة منشو عام (١٦٤٤م) وجاءت علاقاتها مع المسلمين في مراحلها بقلق شديد أسفر هذا القلق عن ثورة المسلمين على الحكومة الصينية عام (١٦٤٨م) بسبب التضييق عليهم في أداء شعائرهم وصلواتهم في المساجد، إلا أنه وفي عام (١٧٣١م) أصدر الإمبراطور (ينج تشن) مرسوماً هذا نصه:

" في كل ولاية من ولايات الإمبراطورية يوجد منذ قرون كثيرة عدد كبير من المسلمين ، أعتبرهم كأبنائي، وأنظر إليهم بالرعاية مثلما أنظر لبقية رعايا الدولة، وقد تسلمت من بعض الأهالي رسائل تشير إلى أن المسلمين لهم ديانة تختلف عن ديانة غيرهم من أهل الصين، وأنهم لا يتكلمون بلغة الصين، ويلبسون لباساً يختلف عن زى الشعب الصيني وهم متهمون بالعصيان ويميلون إلى العنف والثورة ، ويستكمل الإمبراطور رسالته مشيراً إلى أن هذه الاتهامات لم يجد لها أساساً من الصحة مؤكداً احترامه للدين الإسلامي مع أن القانون في الصين فرض على الجاليات الإسلامية هناك أن تضع لوحة للإمبراطور داخل كل مسجد مكتوب عليها : " عاش الإمبراطور الخالد إلى الأبد" وكان المسلمون يسجدون أمامها جريا على العادة الصينية المتبعة.

والواقع أن المسلمين احتاطوا كل الحيطة كي لا يظهر دينهم بمظهر مخالف لدين الدولة، وقد نجحوا من أجل ذلك في تجنب الكراهية التي كان الصينيون ينظرون بها إلى أصحاب الديانات الأخرى، كاليهودية والمسيحية[١٨] ، بل كان المسلمون يصورون ديانتهم لمواطني الصين على أنها متفقة مع تعاليم كنفوشيوس مع فارق بسيط وهو أن المسلمين يقلدون أجدادهم من قبيل الاعتزاز بالقديم في الزواج، والجنازات وغسل الأيادي قبل وجبات الطعام وتحريم لحم الخنزير والخمر والدخان والزنا والسرقة والتحدث عن الغير في حالة عدم وجودهم، وأن هذه كلها تقاليد موروثة عن الآباء والأجداد المسلمين القدامى.

محنة الإسلام في عهد الأسرة المنشورية :

كان يحكم تركستان الشرقية في ذلك الوقت خانات ؛ والتي تعنى بالتركية حاكما أو والياً أو سلطانا ، ففي عام (١١١١هـ) قاد أحد شيوخ الطرق الصوفية يدعى

"هداية الله خوجة " من الأسرة (الجعتائية) نسبة إلى " جعتاى بن جنكيزخان "، التى حكمت تركستان الشرقية عدة قرون .

واستولى الشيخ " هداية الله " على الحكم، فثارت الأسرة المنشورية عليه وضمت تركستان الشرقية تحت قيادتها فى إمبراطورية عظمى شملت الصين، منشوريا، ومنغوليا، حتى عام (١٣٣٠هـ) (١٩١١م) ؛ وقد حاولت هذه الأسرة محاربة الإسلام فى تركستان الشرقية الأمر الذى أوجد العديد من الحركات الإسلامية المقاومة لهذا العدوان كان أبرزها، حركة "حميد الله بك "(١٧٦٣م) ، وحركة جهانكيز خان (١٨١٩م) ، وحركة " يوسف خان خوجة " (١٨٣٠م) ، ثم ما لبث أن استقلت مرة أخرى تركستان عن حكم الإمبراطورية المنشورية عام (١٨٦٣م) ، وظلت لأكثر من (١٤) عاما دون احتلال، ثم خضعت مرة أخرى عام (١٨٧٦م) لاحتلال صيني حتى عام (١٩١١م) ، وتوالت المقاومة الإسلامية فى تركستان الشرقية على يد الحاج "خوجة نياز" ، "وصالح دورغا ". والتى عرفت فى التاريخ بثورة (القمول) وذلك فى فبراير ١٩٣٣م.

احتلال روسيا لتركستان الشرقية :

قامت روسيا بالهجوم على تركستان الشرقية وأخضعتها لسيطرتها لفترة قاربت من العشر سنوات من عام (١٩٣٤-١٩٤٤م) وذلك بعد أن قامت القوات البلشفية باجتياح البلاد عام (١٩٣٤م) ، ونتيجة للصراع الروسى- الألماني ، وتوغل القوات الألمانية داخل الأراضي الروسية تبدل الاحتلال الروسي بالاحتلال الصيني .

ثم قامت ثورة على خان عام (١٩٤٤م) أسفرت عن إعلان استقلال تركستان الشرقية، و لم تستطع الصين بمفردها السيطرة على هذه الثورة، حيث تعاونت مع روسيا لإحباط الثورة والقضاء عليها، بعد القبض على زعيمها والسعي نحو تشكيل حكومة وطنية موالية للصين، إلا أن الحكومة الصينية قامت باحتلال تركستان الشرقية مرة أخرى عام (١٩٤٩م) - بالعنف والقوة[١٩] .

وكان الحزب الشيوعي الصيني على رأس هذه القوى الوطنية وأطلق على هذه الحرب اسم (حرب التحرير ١٩٤٦-١٩٤٩م) وانضم المسلمون إلى جانب (ماوتس

تونج) باعتباره رمزا من رموز النضال ضد الاحتلال ، ويحترم الإسلام والمسلمين ويطالب بمزيد من حقوقهم وعندما دخل ماوتس تونج بكين ، وأعلن في أول أكتوبر (١٩٤٩م) انتصار الثورة ، وبدء صفحة جديدة ، فإن مسحة من التفاؤل الشديد عمت المسلمين ، وتجددت ثقتهم في المستقبل .

إلا أنه في بداية الحكم الجديد (١٩٤٩م) جاء وضع المسلمين في الصين أفضل من سابقه حيث الاعتراف بالمسلمين، والحق في التمثيل البرلماني وانتشار الجمعيات والمعاهد والمدارس الإسلامية وهو ما كان مصحوبا بعدد من الصحف التي تعكس هذا النشاط والاحتكاك بالعالم العربي عبر تأدية شعائر ومناسك الحج بالأراضي السعودية، وتبادل الزيارات والبعثات العلمية إلى الأزهر الشريف بمصر، وكانت أول بعثة للحجاج الصينيين عام (١٩٥٥م) إلا أن هذه البعثات توقفت في أعقاب اضطهاد المسلمين في الصين عام (١٩٦٤م) ، مع أن المسلمين تاريخيا كانوا صفا واحدا مع القوى الوطنية إلا أن الخلاف كان وراء عدم تحقيق ما كانوا يسعون إليه.

وعندما احتلت اليابان الأراضي الصينية ، وبدأت المقاومة الصينية ضد الاحتلال اليابانى (١٩٣٧-١٩٤٥م) وقف المسلمون بقوة ضد المستعمر الياباني ، ونظم المسلمون أنفسهم في كتائب عرفت باسم - الجحافل الحديدية - تحت قيادة ضابط مسلم يدعى :"ماين تشاى"، واستطاعت هذه الكتائب أن تحقق انتصارات كبيرة على القوات اليابانية فى شمال الصين ، وتمكنت من وقف الزحف الياباني تجاه منطقة تركستان الشرقية التي تقطنها أغلبية مسلمة ، وتمكنت القوات اليابانية ، من القبض على والدة الضابط ليتخلى عن المقاومة ضد القوات اليابانية ، إلا أنه رفض الاستسلام وماتت الأم فى أحد معاقل الاعتقالات للجيش الياباني ، واستشهد هو في إحدى العمليات الفدائية.

كما استعان "ماوتسى تونج" بالمسلمين أثناء ثورته الشيوعية، حيث أيدت أمريكا "شيانج كاى شيك" لتولى الحكم فى الصين، بينما أيدت القوى الوطنية "ماوتسى تونج" [٢٠] .

الملاحظ أنه ومنذ قيام الثورة الصينية عام (١٩٤٩م) وهناك محاولات لإعادة ترتيب الأوضاع من جديد تستهدف في مجملها السيطرة الكاملة على النواحي

الاقتصادية والإدارية والسياسية في البلاد ، بل تم تطبيق نظام (الكميون) الذي ينص على قيام المزارعين بزراعة أراضي الحكومة دون تملكها ، أو حتى الاستفادة من جزء من إنتاجها ، وساءت أحوال الناس بما فيهم المسلمون .

ثم ألغى الصينيون الملكية الفردية، وأعلنوا أن الإسلام خارج عن القانون، وأنه دين أجنبي وليس له أصول وجذور في الصين، وجاء ذلك في بيانات حكومية رسمية وألغوا المؤسسات الدينية، بل قاموا بهدم بعضها وتحويل البعض الآخر إلى محلات ونوادٍ ومقاهي للخمور والفجور، بجانب إلغاء تدريس اللغة العربية والتاريخ الإسلامي واستبدلوها بتعاليم ماوتس تونج عام (١٩٦٦م) – وقامت مظاهرات في تركستان الشرقية بسبب رفض الحكومة فتح المساجد الكبيرة لتأدية صلاة عيد الأضحى فيها وكانت هناك مصادمات عنيفة أسفرت عن مقتل وإصابة حوالي (٧٥) ألفاً من أهالي تركستان وحدها [٢١] . وشملت عمليات الاضطهاد التضييق على رجال الدين ، والدفع بهم إلى العمل بالمزارع والمصانع دون أجر، وصدم هذا الإجراء المسلمين صدمة عنيفة .

وكانت هذه هي المرة الأولى منذ عام (١٩٤٩م) ، التي تغلق فيها مساجد المسلمين ثم إغلاق المعهد التابع للجمعية الإسلامية الصينية عن استقبال الدارسين عام (١٩٥٩م) وكان هذا المعهد على الرغم من تواضعه هو النافذة الوحيدة المتاحة أمام مسلمي الصين لدراسة الإسلام على أسس علمية صحيحة، وبالتالي لم يعد أمام المسلمين إلا أن ينقلوا نشاطات تعليم الدين إلى البيوت خصوصاً في مناطق الكثافة السكانية، حفاظاً على عقيدتهم ودينهم، وتم إيقاف بعثات الحج بعد عام (١٩٦٤م) ، فضلاً عن عمليات التهجير الواسعة التي دفعت آلاف الأسر الصينية إلى سينكيانج– تركستان الشرقية– ونقلت آلاف الأسر منها إلى باقي أنحاء الصين في محاولة لخلخلة الإقليم من سكانه، وخاصة وأنه يتمتع بأغلبية مسلمة تصل إلى (٩٨%) من إجمالي سكانه.

آثار الثورة الثقافية على مسلمي الصين:

بدأت الثورة الثقافية في الصين في منتصف الستينيات واستمرت عشرة أعوام كاملة لقي المسلمون خلالها كل صنوف الهوان، والضرب والتعذيب بمختلف ألوانه، وتحطيم

المساجد، وتحويلها إلى مخازن للغلال ونواد للرقص وإحراق المصاحف،والكتب الإسلامية ووطؤوها بالنعال.

كما كان رجال القوات الصينية يقتحمون البيوت، والمعروفة مسبقا بأنها بيوت المسلمين ويأخذون المصاحف والكتب ويحرقونها علنا في الشوارع، على اعتبار أن هذه الكتب تروج للخرافات والأساطير الإسلامية ، وظلت أعداد كبيرة من رجال الدين حبيسة البيوت لأشهر طويلة خشية الخروج إلى الشارع والتعرض للمهانة والسخرية ، ورغم ذلك لم يسلموا من ذلك المصير المؤلم ، فقد كانوا ينتزعونهم من منازلهم ، ويوجهون إليهم الشتائم والسباب ، والقبض عليهم ووضعهم في زنازين خاصة باعتبارهم رموزا للرجعية الإسلامية في إقليم تركستان الشرقية.

وأغلقت المطاعم الإسلامية، التي تقدم الوجبات الحلال للمسلمين الخالية من شحوم لحم الخنزير، ومنع المسلمون في مقاطعة سينكيانج من استخدام الحروف العربية في الكتابة، وأجبروهم على استخدام الحروف الصينية ، ومنع المسلمون أيضا من ارتداء ثيابهم الشخصية، وأجبروهم على استخدام الثياب الرسمية الزرقاء اللون[٢٢] .

مع أن الثورة وعند قيامها أعلنت وقتئذ أن كل مسلم يموت يأخذ ١٥مترا من القماش الأبيض للكفن، وذلك بمقتضى كوبونات خاصة، تعطى المسلمين هذا الحق في حالة الوفاة ،مراعاة لتقاليدهم الدينية ،ولكن قيادة الثورة الثقافية اعتبرت أن هذا الاستثناء يمثل عبئا اقتصاديا على ميزانية الدولة فضلا عن أنه عادة رجعية يجب التخلص منها. وفعلا أوقف صرف الكوبونات للمسلمين.

بهذه الصورة القاتمة مرت على المسلمين سنوات الثورة الثقافية العشر من (١٩٦٦م) إلى (١٩٧٦م) – التي أعادت إلى الأذهان ظلمات العهود الغابرة، وبددت كل ما تعلقوا به من آمال وأوهام، وأهدرت كل ما أنجزوه وبنوه منذ إعلان الجمهورية في عام (١٩١١م) ، وسدت طريق الأمل الذي انفتح أمامهم عشية التحرير في عام (١٩٤٩م) ، وبدا المستقبل أمامهم قاتما وكئيبا .

أوضاع المسلمين بعد الثورة الثقافية :

بعد وفاة "ماوتسى تونج" عام (١٩٧٦م) ، والقضاء على عصابة الأربعة ؛ بدأت الأمور تستقر في الصين . وتم الإعلان عن بداية مرحلة جديدة من عام (١٩٧٨م) وتقرر إعادة تنفيذ سياسة الحزب الشيوعي الصيني، حول المساواة القومية

وحرية الاعتقاد الديني، فقد حذف النص الذي كان قد أضيف في دستور (١٩٧٥م) واستبدل به نص آخر أكثر تقدما في دستور (١٩٧٨م) ، يقضي بأن جميع المواطنين لهم حرية الاعتقاد الديني، كما أن لهم الحق في عدم الاعتقاد وفي الدعوة إلى الإلحاد [٢٣] .

ولضمان عدم الإساءة إلى المتدينين ورجال الدين ، وإعرابا عن حسن النية من جانب السلطة الجديدة بعد وفاة الرئيس "ماوتسى " أضيفت في عام (١٩٧٩م) مادة إلى قانون العقوبات تنص على: معاقبة موظفي الحكومة بالسجن بحد أقصى سنتين إذا ما ضيقوا على المواطنين من أبناء الديانات والعقائد الأخرى أو انتهكوا تقاليد وعادات أبناء الأقليات القومية على نحو غير شرعي.

واتخذت الحكومة كثيرا من الإجراءات في محاولة لكسب ود المسلمين، وإبراز احترام حكومة الصين لهذا الدين، وأخذ ذلك بعض الصور كان منها ؛ إحياء الأنشطة السابقة للجمعيات الإسلامية، وفتح المعهد الإسلامي في بكين، وإعادة طبع القرآن الكريم في المطابع الصينية مع صدور جريدة " المسلمون " واستئناف بعثات الحج إلى الأراضي المقدسة ، وفتح كل المساجد التي كانت قد أغلقت في عهد (ماوتسى) حيث كان لشعاره : (ألغوا تعاليم القرآن) أثره في نفوس المسلمين في الصين، ومحاولة إزالة كل أثر للدين على الأرض الصينية، وهاجر المسلمون من تركستان جماعات، كان أبرزها هجرة السبعة آلاف مسلم والتي قادها اثنان من الدعاة المسلمين هما " محمد أمين يوغرا"،و "عيسى يوسف البتكين"اللذان طافا معظم بلاد المسلمين وإطلاعهم على قضية مسلمي تركستان الشرقية؛لكسب تأييدهم مثل الملك عبد العزيز آل سعود ، والملك سعود بن عبد العزيز ، والملك فيصل ، والملك فاروق ملك مصر ، وسوهارتو وغيرهم [٢٤] إلا أن درجة استجابة هؤلاء الرؤساء والحكام لقضية اضطهاد المسلمين في الصين كانت سلبية نظرا لطبيعة العلاقات السياسية والاقتصادية التي كانت تربط هذه الدول بالصين كدولة عظمى ، لها دورها السياسي البارز ، على الساحة المحلية والعالمية.

وبعد وفاة "ماوتسى" تحسنت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمسلمين في تركستان الشرقية بل وداخل الصين نفسها، وأصبح من حق المسلم أن يمتلك الأراضي والعقارات مثل غيره من أصحاب الديانات الأخرى، وفك القيود عن

تعليم الإسلام داخل المنازل والمساجد، بل تم افتتاح المدارس الإسلامية من جديد، وأصبح من حق الفتاة المسلمة أن ترتدي الزى الإسلامي بحرية تامة ، بجانب افتتاح المطاعم والمحلات التي يمتلكها المسلمون والتي تقدم للمسلمين اللحم الحلال [٢٥] .

مذبحة ميدان السلام السماوي:

في ١٥ أبريل (١٩٨٩م) مات " هوياو يانج " وبموته أطلت المظاهرات مرة أخرى برأسها على مائدة الصراع الديني والسياسي في الصين، لكنها ضمت هذه المرة الطلبة والعمال وفئات الشعب الصيني، وقام طلاب الجامعات الصينية وعشرات الآلاف بالاشتراك في الجنازة، وخرجت المظاهرة عن مسارها فاتجهوا إلى ميدان السلام السماوي في (بكين) مطالبين بالحرية والديمقراطية، فأمرهم الحكومة بالهدوء والعودة إلى عملهم، وأمام رفض المتظاهرين وتزايد أعدادهم ساعة بعد الأخرى، حتى قيل : إنهم تجاوزا المليون صيني ما بين (مسلم، وبوذي، ومسيحي) مطالبين بالديمقراطية، وتأسيس نظام سياسي قائم على تعدد الأحزاب وفك القيود عن الصحافة، فقامت قوات الجيش الصيني بفتح أعيرها النارية على المتظاهرين، وقتلت منهم الآلاف في يومي ٣، ٤ يونيو (١٩٨٩م) . وصاحبت هذه المذبحة عملية التحول الخطيرة في الاتحاد السوفيتي السابق والمذبحة المماثلة التي قامت بها القوات الروسية في جمهورية أذربيجان والتي لم تقل عنفا عن مذبحة (ميدان السلام السماوي) في الصين [٢٦] .

أما الصراع الصيني مع الأقليات الإسلامية في الأراضي الصينية فقد كانت شرارته الأولى في ضاحية (أق تو) عام (١٩٩٠م) عندما منعت السلطات الصينية بناء مسجد في (بارين) وكان ذلك في شهر رمضان - الشهر المعظم عند المسلمين- حيث اشتبكت المقاومة التركستانية مع القوات الصينية وأسفرت المصادمات عن القبض على رؤساء الحزب الإسلامي الديمقراطي وأعدمتهم[٢٧] .

وجاء ذلك وفق الخطة السرية التي اقترحها " سونج هافليانج " رئيس الحزب الشيوعي في تركستان الشرقية وتضييق الخناق السياسي على المسلمين ، ولعل أهم بنود هذه الخطة منع إقامة المساجد ومهاجمة مدارس تعليم القرآن [٢٨] وتمثلت حجة الحكومة الصينية في رفضها السماح للمسلمين بإقامة المسجد في كون المسلمين (أصوليين ، متطرفين ، انفصاليين) يرغبون في الاستقلال والانفصال عن الصين الشعبية.

ووصفت جريدة " شنجيانج " الرسمية الصادرة في ١٨ يونيو (١٩٩٦م) مسلمي تركستان الشرقية بالإرهابيين، وأنهم يستغلون الدين لأغراض سياسية ، وإزاء تزايد حدة الصراع بين الطرفين صادرت الحكومة الكتب الإسلامية بما فيها التفاسير التي أرسلتها حكومة الملك فهد عاهل المملكة العربية السعودية لمسلمي تركستان وكانت تقدر بنحو (٣٠٠,٠٠٠) نسخة من الترجمة (الأويغورية) لمعاني القرآن الكريم، في الوقت الذي أسرعت فيه الحكومة الصينية بعقد اتفاقيات أمنية مع الدول الإسلامية المجاورة للحد من الدعم المادي والعسكري التي تتلقاه حركة المجاهدين بتركستان الشرقية من هذه الدول بسبب التقارب العقائدي، وقامت بعقد اتفاق أمني مع روسيا، وكازاخستان، وطاجيكستان وقد تضمنت هذه الاتفاقيات اتخاذ التدابير الأمنية على جانبي الحدود معها ومنع أية عملية تسلل إلى الأراضي الصينية من الجمهوريات الإسلامية الروسية وقامت الحكومة الصينية بقتل (٥٠) مسلماً في أبريل (١٩٩٠م) على الحدود الصينية الروسية تحت زعم أنهم إرهابيون ومخربون يريدون بث أفكارهم المتطرفة داخل الأراضي الصينية.

وبثت وكالة الأنباء الفرنسية في (١٢/٥/١٩٩٦م) تقريراً صادراً عن سكرتير اللجنة القانونية في الحزب الشيوعي لمقاطعة تركستان الشرقية عن نتائج الصراع الصيني مع المجاهد التركستاني (توختي إخوان) وجماعته وكان من نتائجها القبض على (١٧٠٠) تركستاني شرقي ، وحصد مائتي شهيد مسلم، كما تؤكد منظمة الطفولة الروحية أن الصين أعدمت (١٠٠٠) طفل تركستاني شرقي مسلم في عام (١٩٩٦م) فقط .

كما كان من نتائج السياسة الصينية في تركستان الشرقية " اضرب بقوة " اعتقال (١٨) ألف تركستاني شرقي مسلم، ومقتل (١٠٠٠) وتسريح (٥) آلاف موظف حكومي ، وإعدام (٤٣) شخصية دينية منهم إمام مسجد (بارين) . هذا بالإضافة لهدم مئات المنازل والمحلات التي يمتلكها المسلمون في الإقليم ومع هذا كله فإنه ومن خلال الرؤية العامة للوضع السياسي والاجتماعي لأحوال الأقليات الإسلامية في إقليم تركستان الشرقية المسلم يتضح أن هناك بعض النقاط المهمة التي يجب الإشارة إليها وهي:

١- رفض الصين استقلال تركستان الشرقية ومنحها الحكم الذاتي نظرا لما تتمتع به من ثروات معدنية بما فيها النفط.

٢- إن وضع المسلمين في الصين هو وضع تجمعات، حيث يتركزون في قرى ومدن عديدة يمثلون فيها الأغلبية العددية، وإذا سمحت الصين باستقلال تركستان الشرقية، يصبح بالتالي من حق إقليم (آسام) أن يطالب هو الآخر بالاستقلال عن الهند ليقيم لنفسه دولة ذات حكم ذاتي آخر ، ومن هنا يأتي تفكك الصين وضياع هيبتها كدولة عظمى .

٣- امتلاك تركستان الشرقية لعنصر اليورانيوم ؛ وبالتالي فإن امتلاك المسلمين لأخطر الأسلحة الموجودة في القرن تهديد للأديان الأخرى حيث يرون أنه إذا امتلك المسلمون هذا السلاح يصبح من المتوقع أن يقوموا بغزو العالم من جديد وليعيدوا الفتح الإسلامي لأوربا والعالم مرة أخرى.

٤- الإبقاء على الوحدة الصينية والأراضي التابعة لها في تركستان الشرقية وهونج كونج وتايوان والوقوف ضد تفسخ الدولة الصينية.

٥- أدت العلاقات السياسية والاقتصادية بين الدول الإسلامية والصين إلى أن تغض هذه البلدان الطرف عما يحدث لإخوانهم المسلمين هناك، وإعلاء العامل السياسي على الديني والعقائدي، ويلاحظ في زيارة الرئيس الصيني لتركيا، التي بحثا فيها رئيسا الدولتين الوضع في تركستان الشرقية، وطالب الرئيس الصيني تركيا بوقف دعمها لحركات التطرف الديني في الإقليم ، أي المجاهدين الذين يطالبون بالاستقلال .

أما مشكلات الأقليات الإسلامية في الصين فتتلخص في الآتي:

١- قلة الدعم المادي من الحكومة الصينية لدور العبادة والأئمة المسلمين القائمين عليها.

٢- قلة المدارس الإسلامية التي ترعى النشء وتعلمهم أصول اللغة العربية والعقيدة.

٣- ضعف مستوى المناهج الدراسية وقلة مبعوثي الأزهر لتعليم الصينيين أمور دينهم.

٤- جهل المسلمين الصينيين بالإسلام وعدم فهمه الفهم الصحيح.

٥- تعدد المذاهب والفرق الإسلامية فى الصين واختلافاتهم الفقهية فيما بينهم .

٦- التضييق على فتح الجامعات والمدارس الإسلامية في الصين لأبناء المسلمين.

٧- قيام البوذية في الصين باضطهاد الأقليات المسلمة ومحاولة القضاء على هويتهم الإسلامية .

٨- منع تعدد الزوجات وفق القانون الصيني ودستورها حيث لا يجوز الجمع بين زوجتين .

أحوال الأقليات الإسلامية في الصين
بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر(٢٠٠١م)

يمكن القول : إن المسلمين في الصين، تعرضوا للاضطهاد الديني ، وذلك بحرمانهم من حقوقهم التي أقرها الدستور الصيني ذاته ، ففي عام (١٩٩٠م) تمكنوا من الحصول على الموافقة الصينية على قيام المسلمين بإصدار أربع صحف إسلامية في الوقت الذي لا يضع التليفزيون الصيني برامج إسلامية على خريطته[٢٩] بينما الواقع يؤكد بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بالولايات المتحدة تعرض المسلمين في الصين لحملات اضطهاد واسعة استهدفت القضاء على عقيدتهم ومحو هويتهم الإسلامية، وخاصة في إقليم تركستان الشرقية ذى الأغلبية المسلمة.

وقد سجلت منظمة العفو الدولية في تقريرها الصادر عام (٢٠٠٢م) شكوى آلاف المسلمين من الإيغور الذين تم اعتقالهم بالإضافة إلى مئات الضحايا الذين تم إعدامهم دون محاكمات أو تهم حقيقية، وفى التقرير الذي نشرته مجلة التايمز البريطانية نقلاً عن تقرير المنظمة قيام الحكومة الصينية بإجبار الرموز الإسلامية من الأئمة والمشايخ وكبار الدعاة على احتساء الخمر قبل تنفيذ حكم الإعدام فيهم ، وفى بكين العاصمة الحال لا يختلف عن سابقه ، فقد قامت السلطات الحكومية بإغلاق (٣٠) مطعماً للمسلمين وتشريد أكثر من خمسين ألف مسلم من أعمالهم الحكومية التي كانوا يعملون بها قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

هذا فضلاً عن الانتهاكات المتزايدة في مجال حقوق الإنسان، حيث قام النظام الشيوعي في الصين بتأسيس برنامجاً على درجة عالية من التمييز والعنصرية يهدف إلى تعقب المسلمين في مساجدهم ومدارسهم حتى في منازلهم ومحال إقامتهم، وفصل كل الموظفين المسلمين الذين يعملون في المناصب العليا بالجهاز الحكومي، مما زاد من نسبة البطالة بين المسلمين بجانب عدم رغبة رجال الأعمال البوذيين من تشغيل المسلمين في مصانعهم أو شركاتهم، مما دفع الكثير من المسلمين إلى تغيير أسمائهم لأسماء أقرب للبوذية منها للإسلام للحصول على فرصة عمل أو الاستمرار في أعمالهم السابقة.

وبما أن الإسلام يشكل مركزاً أساسياً في ثقافة المسلمين الإيغور في إقليم تركستان الشرقية أو سينكيانج ما تزال الحكومة الصينية تقوم بمحاولة طمس معالم الإسلام من مدارس ومساجد ، وهي إما مغلقة الآن أو خاضعة لحراسات أمنية مشددة، تحت زعم أن الذين يؤدون الصلاة في هذه الأماكن هم أتباع لأسامة بن لادن، ومن المتطرفين والإرهابيين الذين يسعون إلى عدم استقرار الأمن الداخلي في الصين، وأخيرا نشرت إحدى الصحف الصينية خبرا يقول : إن الحكومة أصدرت قرارا بشأن حظر حمل المصحف مع المسلمين أو حتى ضبطه أثناء الإجراءات الأمنية في منازلهم أو متاجرهم أو حتى مع أبنائهم الصغار، مما يؤكد استغلال الصين الحملة الدولية على التطرف والإرهاب لتصفية الوجود الإسلامى من إقليم تركستان الشرقية الذي يطالب بالاستقلال عن الصين وتقرير مصيره بعيدا عن الحكومة الشيوعية الصينية، الأمر الذي ترى فيه الصين تبعية الإقليم لها ، حيث يمثل على المستوى الاقتصادى الكثير في مجال النفط والقطن واليورانيوم المخصب الذي يستخدم في مجال التصنيع العسكري والنووي، وهذا يعد أساس الاقتصاد الصيني ، واستمرارها كقوة عظمى في عالم اليوم.

وعلى جانب الفكر الإنسانى خرج فى هذه المنطقة العديد من العلماء والفقهاء الذين ملأ علمهم بقاع الأرض في مختلف المجالات من طب، ورياضيات، وفيزياء، وكيمياء، وفلسفة، وفلك، ولغويات أهم هذه النماذج مع الإشارة إلى أهم ما قدموه للبشرية والإسلام ما يلى :

فضل أبناء تركستان على الغرب والعالم الإسلامى:

سبقت الإشارة إلى أن العرب لم يسهموا في نشر الإسلام إلا بالقدر القليل ، سواء على صعيد الفتوحات شرقا أوغربا أو شمالا وجنوبا ، حتى دق أبواب فرنسا، وفتحت الهند والسند والصين وبلاد التركستان وجنوب شرق آسيا وتوسع فى شمال إفريقيا متوغلا ناحية الجنوب ، حيث شارك في هذه الفتوحات بجانب العرب : " المسلمون الأتراك: والسلاجقة، والمغول ، والفرس وغيرهم " .

وعلى الصعيد الفكري لم يساهموا أيضا إلا بالقدر الضئيل فمعظم أمهات الكتب التي تتناول أصول العقيدة، من فقه وعبادات، وشرائع لمؤلفين ليسوا من العرب ولا من المنطقة العربية، بل إن من أبرز المناطق التي ساهمت على هذا الصعيد منطقة تركستان (الشرقية – والغربية) أو منطقة آسيا الوسطى و بلاد ما وراء النهر،

أو الجمهوريات الإسلامية الروسية قديما، وقد تنوعت مؤلفاتهم وتخصصاتهم في مجال التفسير، والحديث، والفقه، والفلك، والعلوم، والرياضيات، والطب حيث كانت طشقند، وبخارى، وخوارزم، وكاشغر منارات إسلامية يلجأ إليها طلاب العلم من كل البلدان.

ونظرا للعدد الضخم الذي تم حصره عن علماء منطقة آسيا الوسطى وبلاد ما وراء النهر (أو تركستان) سيتم الإشارة لأبرز علماء المنطقة، وأهم مؤلفاتهم التي كانت زخما علميا استفاد منه العرب والغرب معا:

أولا: في تفسير القرآن وعلومه :

ومن أبرز علماء التفسير فى تلك المنطقة: " أبو الليث السمرقندى " وله تفسيره للقرآن الكريم باللغة العربية، كما أن له مؤلفات أخرى في الفقه و الحكمة وعلم الكلام، مثل بستان العارفين وتنبيه الغافلين، و فضائل رمضان، وعيون المسائل، ودقائق الأخبار في بيان أهل الجنة و النار. وجار الله " أبو القاسم الزمخشرى " وأبرز مؤلفاته تفسيره لآيات القرآن الكريم وإظهار بلاغتها وتراكيبها، وهو المعروف بتفسير الكشاف . " والحافظ أبو البركات النسفى " وله أيضا تفسيره للقرآن الكريم، وله مدارك التنزيل وحقائق التأويل، وكتاب الكنز. " وأبو المنصور الماتريدى " وله تفسير الماتريدى، ومؤلفات أخرى في الفقه وعلم الحديث أهمها كتاب السنن الذي يعد أحد الكتب الستة، جمع فيه أكثر من (٤,٨٠٠) حديث صحيح عن الرسول ﷺ . والشيخ "على السمرقندى " ومن مؤلفاته في التفسير، بحر العلوم في التفسير وضع فيه كل علمه، وكتبه في عشرين عاما، " والكاشفى السبزوارى " وله تفسيره الفارسي، أو تفسير الحسيني . " والشيخ شهاب الدين " وله عيون التفاسير، وله في مجال التصوف مؤلفه الضخم : رسالة النجاة.

ثانيا: في الحديث النبوي والسيرة :

ومن أبرز علماء المسلمين فى تلك المنطقة : الإمام أحمد بن حنبل: وله مذهب باسمه ، ولد في خوارزم وترك ثروة ضخمة من كتب الحديث والفقه أبرزها مسند الإمام أحمد ، والإمام " أبو عبد الله ابن إسماعيل البخاري " الذي ولد في بخارى، ومن أشهر مؤلفاته صحيح البخاري، والأدب المفرد، والتاريخ الكبير، والتاريخ الأوسط، والتاريخ الصغير والتفسير الكبير. والإمام " محمد بن عيسى الترمذي " وهو من أئمة

علماء الحديث ولد فى ترمذ على نهر جيحون وتتلمذ على يد الإمام البخاري، وأصيب بالعمى في أواخر أيامه ، ومن أبرز مؤلفاته فى مجال الفقه والحديث كتاب الجامع، وكتاب العلل . والإمام " أبو الحسين بن مسلم " النيسابورى وينسب إلى نيسابور، وهى منطقة تتبع خراسان ومن مؤلفاته الجامع الصحيح، والمسند الكبير . " وأبو عبد الرحمن أحمد بن على النسائي ": وهو من كبار علماء الحديث، ولد في خراسان، في منطقة تسمى : " نساء " وله السنن الكبرى ، وفضائل الصحابة وغيرها. " وأبو محمد عبد الله الدارمي " وله المسند في الحديث الشريف . " وأبو بكر أحمد الخوارزمي " الذي ولد في خوارزم وله جامع الصحيحين فى الحديث ، ومن رواة الحديث أيضا الإمام مسلم، والإمام أبو داود، والإمام ابن ماجه .

ثالثا: في التصوف الإسلامى وفلسفته:

ومن أبرز علماء التصوف الإسلامى من أبناء التركستان : " إبراهيم بن أدهم البلخى" وهو من منطقة بلخ، وله العديد من الكتب في التصوف، أهمها علم التصوف. "وإبراهيم النقشبندى " ومن مؤلفاته (مثنوى) من ٦٠٠ بيت، وشرح كلمات شاة نعمه الله. وبهاء الدين النقشبندى وهو مؤسس الطريقة النقشبندية. وعبد الله الأنصارى وله ترجمة طبقات الصوفية للسلمى ومؤلفات عديدة أخرى .

رابعا: فى اللغة والأدب والبلاغة :

أما في اللغة والأدب فقد ظهر العديد من العلماء وكان أبرزهم: "إسحاق بن إبراهيم الفارابي " وله ديوان الأدب في اللغة ، وشرح أدب الكاتب لابن قتيبة."وسراج الدين يوسف " الخورازمى السكاكى ويعد من أبرز علماء اللغة، وله مفتاح العلوم فى النحو والصرف والمعاني ، وأدب المناظرة والعروض . وحميد الدين البلخى وله مقامات حميدي باللغة الفارسية. وأبو نصر إسماعيل الجوهري وله صحاح الجوهري.

خامسا : في علم الكلام :

ومن أبرز علماء المنطقة فى علم الكلام: " شمس الدين محمد السرخسى " وله المبسوط في (١٥) مجلدا، وكذلك أصول الفقه وكتب أخرى. " وأبوزيد عبد الله بن عمر الدبوسى " ومن مؤلفاته الشهيرة كتابه الأسرار وكتاب تقدم الأدلة . وشيخ الإسلام "رضي الدين السرخسى"وله كتاب الذخيرة والمحيط والفتاوى الصغيرة.

"وعلاء الدين على بن التركماني " ومن مؤلفاته السعدية في أصول الفقه، وكتاب الضعفاء والكفاية مختصر الهداية في الفقه.

سادسا: في مجال الشعر والنثر :

اعتبرت منطقة تركستان من البيئات التي اكتسبت اللغة العربية وأتقنتها ثم أخرجت أسرارها، فقد كتب المئات من أبناء خراسان، وترمذ، وبخارى ، وطشقند، وكاشغر، وسمرقند الشعر ، وأجادوا نظمة وكان أبرز هؤلاء الشعراء: " أبو على محمد بن أحمد البلخى "، " أبو المؤيد البلخى " ، " أبو منصور الدقيقى " ، و" ظهير الدين الفارابي "، و " مظفر الدين بابر" مؤسس الدولة التيمورية فى الهند ومن النساء : عائشة السمرقندية، ونورجهان ومهرى، وعظمت السمرقندية.

سابعا : في مجال الطب :

ومن أبرز علماء تركستان فى مجال الطب والفلسفة : " أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا " ولد في أفشنة إحدى قرى بخارى ، وعرف عنه من صغره ذكائه الحاد، حتى أنه أتم حفظ القرآن الكريم كله و هو لم يتجاوز الخامسة من عمره، واشتهر كطبيب وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة ، واستطاع أن يتوصل إلى أسباب أمراض لم تكن معروفة في ذاك العصر مثل السكتة الدماغية، والشلل، وحصى المثانة، والسل، واكتشاف الدورة الدموية المستديرة، والاضطرابات العصبية، وأشهر مؤلفاته : "القانون " الذي ترجم لمختلف اللغات العالمية، واعتبرته الجامعات في روما أساس علم الطب، وتم تعميمه فى الجامعات الأوربية وطهران، والهند، أما مؤلفاته في الفلسفة فكان أهمها : الشفاء في المنطق والإلهيات والطبيعيات والموسيقى، وترجمت كتبه لأكثر من لغة. وكذلك " أبو بكر زين الدين الوراق " وقد اشتهر بالحكيم، وأبرز مؤلفاته : السندباد في الحكمة وفي الطب : الألفية والشافية.

وأبو نصر محمد بن محمد الفارابي الذي ولد في فاراب على نهر جيحون، ويعد من أعظم الفلاسفة المسلمين، وعرف بالمعلم الثاني، لشرحه لمؤلفات أرسطو المعلم الأول، ومن أبرز مؤلفاته : الفصوص ، وإحصاء العلوم والموسيقى الكبير، وآراء أهل المدينة الفاضلة، ومبادئ الموجودات . وعبد الرحمن الحسن المروزى وله : الروضة في الأنساب، ورسائل في الطب.

ثامنا: في مجال العلوم الرياضية والفلكية:

ومن أبرز علماء المسلمين في الفلك : " أبو ريحان محمد بن أحمد البيروني " وهو من أعلام الرياضيات، ويرجع إليه الفضل في نشر العلوم الإسلامية في الهند، بحكم صداقته للسلطان محمود الغزنوى، ومن أشهر مؤلفاته : الآثار الباقية عن القرون الخالية، ومقاليد الهند، وقانون الإرشاد في أحكام النجوم. "وأبو معشر جعفر البلخى " وله العديد من المؤلفات في مجال الفلك أبرزها كتاب المفصل الكبير، والقرانات. "ومحمد بن موسى الخوارزمي " من علماء الرياضيات، واستفادت أوربا من علومه وله المختصر في حساب الجبر، والمقابلة، ويعد أول عالم في الجبر، وكذلك أول من استخدم الصفر في الحساب.

تاسعا : في التاريخ والجغرافيا:

أما في التاريخ والجغرافيا فكان : " أبو ريحان البيروني" : وله أحوال الهند. "والإمام محمد بن إسماعيل البخاري" : وله التاريخ الكبير والأوسط، والتاريخ الصغير. " ومحمد البلخى " ومن مؤلفاته الشهيرة تاريخ البلدان. "ومحمد الفرغانى " وله من المؤلفات الكثير أبرزها ذيل تاريخ الطبري ." وأبو بكر النرشخى " وله في التاريخ، تاريخ بخاري وترجم لأكثر من ثلاثين لغة.

ومن هنا نستطيع القول : إن أبناء التركستان كان لهم الفضل الكبير على العالم في كافة المجالات والتخصصات التي برعوا فيها، وقت أن كان الغرب وأوربا كلها تعيش في ظلمات العصور الوسطى والجهل ومن سيطرة الكنيسة على كل شيء حتى في مجال العلوم والأدب .

هوامش الفصل الثالث

(١) صابر طعيمة : محنة الأقليات المسلمة والواجب نحوها، مرجع سابق، ص٢٥.

(٢) محمود أبو العلا : جغرافية العالم الإسلامى، مرجع سابق ، ص٣٦ .

(٣) أحمد على إسماعيل : العالم الإسلامى، مرجع سابق ، ص٤١.

(٤) المسلمون في آسيا(منشورات منظمة المؤتمر الإسلامى ، ٢٠٠١م).

(٥) حسن الحاج : حرب أفغانستان التحول الجيوإستراتيجى إلى الجيوثقافي (بيروت: المستقبل العربى، عدد (٧٦) فبراير ٢٠٠٠م) ص١٣-٢٣.

(٦) أحمد منيسى : الأقليات الإسلامية في الصين (القاهرة : السياسة الدولية، عدد " ١٣٧" يوليو ١٩٩٦م) ص١٠٢.

(٧) محمود أبو العلا : جغرافية العالم الإسلامى، مرجع سابق ، ص٥٦.

(٨) الإسلام في الصين : مجلة الأمة القطرية، مرجع سابق ، ص ٦٨.

(٩) صلاح الصاوي : جغرافية العالم الإسلامى، مرجع سابق ، ص٢٦٨.

(١٠) محمد حرب : المسلمون في تركستان (القاهرة : مركز الدراسات العثمانية، ١٩٩٣م) ص١٢ .

(١١) السيد حسن جلال : تاريخ الشعوب الإسلامية، مرجع سابق، ص١١١.

(١٢) فيصل قطبي : الإسلام فى الغرب : إسلام أون لاين نت ٢٠٠٣/٣/١٢ .

(١٣) حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام، مرجع سابق، ص ٢٣٣ .

(١٤) محمد حرب : المسلمون في آسيا الوسطى والبلقان، مرجع سابق ، ص١٤٠ .

(١٥) حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام، مرجع سابق، ص٢٣١ .

(١٦) محمد حرب : المسلمون في آسيا والبلقان ، مرجع سابق، ص١٤٠ .

(١٧) حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ، مرجع سابق، ص٢٣٥ .

(١٨) فهمي هويدى : المسلمون في الصين(الكويت: عالم المعرفة ،عدد ١٩٩٢م) ص١٠ -٢٥ .

(١٩) محمد حرب : المسلمون في آسيا الوسطى والبلقان، مرجع سابق، ص ٩ .

(٢٠) سيد عبد المجيد بكر : الأقليات الإسلامية في العالم ، مرجع سابق ، ص٣٢٠ .

(٢١) محمد حرب : المسلمون في الصين ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

(٢٢) فهمي هويدى : الإسلام في الصين ، مرجع سابق ، ص ٣٦ -٦٦ .

(٢٣) أحمد منيسى : الأقليات الإسلامية في الصين، مرجع سابق، ص١٠٣.

(٢٤) محمد حرب : المسلمون في الصين، مرجع سابق ص١١٠.

(٢٥) المسلمون في الصين، مرجع سابق ، ص١١١ .

(٢٦) أحمد منيسى : الأقليات الإسلامية في الصين، مرجع سابق ، ص١١١، ١١٢ .

(٢٧) ممدوح الشيخ : المسلمون ومؤامرات الإبادة، مرجع سابق ، ص٧٤ .

(٢٨) المسلمون في الصين (القاهرة : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مجلة منبر الإسلام ، عدد يناير، ١٩٩١م) ص٧٥.

(٢٩) عبد الرقيب حاجي : المسلمون في الصين (القاهرة: جريدة الرأي، عدد مايو ٢٠٠٣م) ص١٦ .

(٣٠) المسلمون في تركستان: مجلة شمس الإسلام، العدد الرابع، ١٩٩٥م) ص٦ .